

## القراءات النقدية الحديثة للتراث الشعري العربي وإشكالية المنهج

## Modernist Critical Readings of the Arab poetic Heritage and the problem of Methodology

عصام زيقم<sup>\*1</sup><sup>1</sup> جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2 (الجزائر)، zikemissam1989@gmail.com

تاريخ القبول: 2024 /11/08

تاريخ الإرسال: 2023/09/25

## الملخص:

"تناول النقاد العرب المحدثون النص الشعري العربي القديم وحاولوا نقده وتحليله، من خلال عدة مناهج و آليات نقدية متداخلة حاولوا فيه بناء رؤية خاصة اتجه ذلك التراث الشعري، من أجل تجديده وتحديثه والبحث عن الجوانب المضيئة فيه، سعيا منهم إلى تحضة الثقافة العربية وبناء شبه نظرية عربية تواكب الدراسات الحديثة النقدية الغربية.

فقد سعى هؤلاء النقاد على غرار طه حسين وحسين المرصفي ومحمد مندور واحسان عباس وأدونيس وغيرهم إلى قراءة التراث برؤية حديثة ، محاولين استنطاق معناه ونفض الغبار عليه ليكون ركيزة أساسية لعيش حاضرتنا وتحقيق نخضتنا ومواكبة الحداثة الغربية في إطار الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

## الكلمات المفتاحية:

القراءة؛  
التراث؛  
الأصالة؛  
المعاصرة؛  
نقاد العرب؛

## ABSTRACT:

## Keywords:

reading;  
heritage;  
authenticity;  
contemporaneity;  
Arab critics;

Modern Arab critics have addressed the ancient Arabic poetic text and attempted to criticize and analyze it through several overlapping critical approaches and mechanisms. They tried to build a special vision of that poetic heritage to renew and modernize it and to look for its bright aspects. They sought to revive Arab culture and build a quasi-Arab theory that keeps pace with Western modern critical studies. These critics –such as Taha Hussein, Hussein Al-Marsafi, Mandour, Ihsan Abbas, Adonis, and others- have tried to read the heritage with a modernist vision, attempting to extract its meaning and dust it off so that it would be a pillar for living our present, achieving our renaissance, and keeping pace with Western modernism while combining authenticity and modernity.

\* عصام زيقم

## 1- قراءة التراث الشعري العربي وإشكالية المنهج:

إن إشكالية المنهج من إشكالات التي طرحتها الدراسات العربية النقدية، وهي معضلة واجهها معظم النقاد المعاصرين عند مواجهتهم للنصوص الشعرية القديمة، وعليه فعملية اختيار المنهج المناسب للعملية القرائية يتطلب جهدا كبيرا من الدارسين، حتى يصلوا إلى الأداة الأنجع لتحليل النصوص وتحقيق الهدف المنشود، وبالتالي «باتت إشكالية المنهج في الدراسات العربية موضوعا عالقاً لم يحسم فيه بعد بالرغم من سيل الدراسات النقدية التي عرفت هذه القضية، ولا يمكننا الحسم في ذلك بالقول إن هذا المنهج صالح أو هو وحده قادر على كشف مكنون النصوص بطريقة إطلاقية كما نرى في دراسة بعض المحدثين»<sup>1</sup>.

وهنا لا نحكم على أن هذا المنهج صالح لهذه الدراسة أو تلك إلا إذا عرفنا خلفية كل منهج لأن لكل منهج خصوصية وميزة يتصف بها عن غيره والحديث عن المنهج في بنية الثقافة العربية موضوع صعب المنال، لأنه إشكال مازال إلى يومنا هذا لم نجد له أي حل، وذلك «يعود بالأساس إلى بنية الثقافة العربية المعاصرة التي تعرف حالة عدم الانسجام بين مكونات الذاتية، وصراع هذه المكونات بحكم اختلاف المذاهب والرؤى والمواقف»<sup>2</sup>.

وعليه فجل الدراسات في الثقافة العربية تعيش حالة من الانفصام بين الذات والذوبان في الآخر، وهذا التناقض والاختلاف جعل النقاد والدارسين يقعون في عدة مطبات لا يجدون لها حلولاً، وذلك بحكم التنوع في الخلفيات والرؤى والمواقف.

وإذا بحثنا عن المظهر الأساسي لهذه المعضلة وجدناه «يعود إلى قبول أو رفض ثقافة الآخر الوافدة من بيئات معرفية بعيدة من حيث الخصوصيات التاريخية والحضارية عن تراثنا العام والشعري بوجه خاص، وهذا ما يدفعنا إلى اعتبار العلاقة التي تربطنا بالآخر الثقافي هي جوهر الاختلاف بين دارسي الشعر العربي القديم»<sup>3</sup>.

ولعل المتأمل إلى تاريخ الدراسات العربية والحركة الأدبية يلاحظ أن اللبنة الأولى لهذا السجل يعود بالدرجة الأولى تاريخياً إلى زمن النهضة العربية، وحنين الشاعر العربي إلى التراث العربي القديم من أجل إمطة اللثام عليه من أجل البحث عن الأوجه المضيئة فيه حتى يقتدي بماضي الأجداد، الأمر الذي دفع بظهور اتجاهات تدعو إلى الإصلاح في جميع الميادين وخاصة الجانب الفكري وبالتالي «فإن مشروع النهضة بقدر ما هو حلم استشرفته اللحظة العربية الحديثة، بقدر ما طرح عدة إكراهات وصعوبات استحالت في معظم الأحيان كوابيس تقض مضجع الإنسان العربي وتحيله على الانتظار والعدمية»<sup>4</sup>.

وعليه فقد طرحت النهضة موضوع دراسة ومراجعة تراث الأجداد، لكن هذه المقاربة تطلبت البحث عن المنهج الأنجع لها مع مراعاة الخصوصية العربية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى وجب التعايش مع السيول الجارفة للدراسات والنظريات الغربية الحديثة التي استطاعت الدخول إلى بيت المتقف العربي.

وهنا يمكن أن نطرح عدة تساؤلات وإشكالات: ما هو المنهج الأنجع لمقاربة النص التراثي العربي؟ وهل العملية القرائية الحديثة استطاعت أن تستنطق النص التراثي؟ أم أنها قرمته وأخضعته لسلطتها؟

## 1-1- القراءة المدرسية:

لقد كان الهدف من النقد العربي الحديث هو بعث اللغة العربية من جديد بعد ما أصابها الخمول والضعف نتيجة الضربات التي تلقتها الدولة العربية أيام الحكم العثماني، فسعى معظم نقاد النهضة العربية الخروج من هذا الواقع المريع، وتغييره نحو الأحسن، وذلك ببعث مقومات اللغة العربية والحفاظ عليها، وتربية النشء الذي يعمل لحفظها وحمايتها.

فعمل النقاد على إحياء التراث العربي، وتقديم إنتاج الأجداد إلى الواجهة، ويعتبر الناقد حسين المرصفي صاحب كتاب «الوسيلة الأدبية»<sup>5</sup> واحداً من الذين اتبعوا هذا النهج، فقد أراد من خلاله تعليم الأجيال اللغة حتى لا تضيع ولا تزول، ويكون السبيل إلى ذلك تعليمياً بالدرجة الأولى.

وقد طرح في كتابه عدة قضايا وآراء نقدية تخص الجهود والدراسات التي كانت في التراث العربي فمثلاً «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» لابن الأثير، و«إعجاز القرآن» للباقلاني، و«الصناعتين» لابن هلال العسكري. وكان هدف المرصفي من وراء مصنفه، أنه اتجه به توجّها تعليمياً بحث، سعى من خلاله إلى تكريس بعض المفاهيم والإجراءات التي تساهم في الحفاظ على اللغة العربية وتسهيل الوصول إلى فهم كتاب الله.

وهنا كان الهدف الأسمى للكتاب هو هدف ديني، وهذا راجع إلى ضعف الوازع الديني الذي أصاب الأمة العربية نتيجة القضاء على المقومات والعادات والتقاليد التي كانت تحكم المجتمع العربي، مما دفع لاشك إلى الاهتمام باللغة والدين والقرآن الكريم والشعر العربي وذلك «لأن مدارس الأشعار العربية فيها من الفوائد العلمية المتعلقة بأوضاع اللغة العربية أمر لازم لكونه معرفاً لمقاصد القرآن وأقوال النبي صلى الله عليه وسلم»<sup>5</sup>.

وعليه فالقراءة التي قام بها حسين المرصفي هي قراءة مدرسية تربوية وإحيائية، تسعى إلى إحياء العربية وحمايتها من الزوال باعتبارها هوية ومقوم من مقومات الأمة، والركيزة الأساسية للتطور والنهوض.

لكن ما يعاب على قراءة المرصفي، تلك المآخذ التي وجهت إليه من قبل النقاد، هي أن قراءته لم تصل إلى المطلوب، فهي تخلو من الفاعلية النقدية، ومن هنا «كان عمله خالياً من أية فاعلية نقدية بالمعنى المتعارف عليه في الكتابات النقدية»<sup>6</sup>، فقد كان فقط يعيد آراء النقاد القدامى، وكان يؤرخ لها دون وعي أو نقد أو تحليل وبالتالي كان «يضع أمام الشعراء والكتاب الوسائل المعينة على تحقيق البناء الأدبي الجيد، غير أنّ ما قاله المرصفي في ذلك لا يخرج عما قاله القدماء من حيث صحة المعنى وشرفه وانسجامه وتوافقه مع الألفاظ»<sup>7</sup>.

والملاحظ على المرصفي أنه أعاد كل الآراء التي قيلت عن الجهود النقدية التراثية، فهو لم يتجاوز سلطة نقد التراث، وبقي يكرر ما قالوه دون إضافة، وهنا يبدو «أن النقاد القدامى قد فرضوا أنفسهم على المحدثين بشكل جعلهم سلطة نقدية لا يمكن تجاوزها، ولذلك اكتفى النقد العربي في بداية عصر النهضة بالمفاضلة بين الآراء مما حدّ من مساهمة النقاد المعاصرين في مجال التنظير النقدي خاصة، الذي ظل يستعيد التعريفات القديمة بشكل يكاد يكون حرفياً»<sup>8</sup>.

كما راح المرصفي يعرف الأدب مثل ما عرفه ودرسه النقاد القدامى بأنه الأخلاق الحميدة والتأدب والود والحب بقوله: «معرفة الأحوال التي يكون الإنسان المتخلق بها محبوبا عند أولي الألباب الذين هم أمناء الله على أرضه من القول في موضعه المناسب، فإن لكل قول موضعا يخصه، بحيث يكون وضع غيره فيه خروجاً عن الأدب»<sup>9</sup>. وعليه بدا مفهوم الأدب عند المرصفي أنه انحصر في مهمتين هما: الأخلاق المرتبطة بالمعاملات الإنسانية والسلوكيات الفردية، أما المهمة الثانية هو التعبير عن اللغة.

ولم يخرج المرصفي عن التعريف الذي أقره القدامى حول مفهوم الأدب، وبالتالي فقد نزع الناقد إلى الجمع بين ما هو أخلاقي وديني في كل مواقفه حول التراث، وهنا نلاحظ سيطرة المنزع الديني على جل مواقفه النقدية، وهذا «لأشك أن هذا الربط الذي ألح عليه المرصفي بين الدين والأدب يحمل في طياته توجهات ذات بعد نفعي، يجعل النص مجرد أداة تعليمية للتعمق في اللغة قصد فهم القرآن، وهو توجه ساد في عصر التدوين الذي تأسست على نهجه أغلب علوم العربية»<sup>10</sup>.

إن الرؤية النفعية التي كانت وراء مفهوم المرصفي للأدب وعلوم اللغة والمنهج الذي اتبعه في كتابه «الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية»، كرسست استلاب من نوع خاص فهو لم يستقل عن سلطة الماضي بل ظل حبيس الآراء النقدية التي فرضت نفسها على النقاد آنذاك.

فالقراءة الإستيعادية لديه أدت إلى الخضوع إلى سلطة الماضي والانحياز للتراث وجعله حقيقة تاريخية جاهزة مستمدة أصولها من العصور الغابرة (عصر الجاهلي).

وذهب بعض النقاد يؤخذون عن تلك الدراسات التي باتت تفتقد للحس الموضوعي للتراث ونجد على رأسهم الناقد والباحث المغربي محمد عابد الجابري، الذي تكلم عن الآليات التي تفقد لها الدارسون، وهي «استقلالهم الذاتي الذي يسمح لهم بالانخراط في حركية التاريخ»<sup>11</sup>.

وهكذا تعامل النقد العربي المعاصر في بداية عهده مع النقد العربي برؤية إستيعادية، بحيث «لم يستطع أن يتجاوز إعادة إنتاج ما أقره القدامى في هذا الباب، ولكن هذا الإنجاز على تواضعه يبدو إذا قيس بظروفه وسياقه، إنجازا كبيرا ومهما»<sup>12</sup>.

لذا فالعلاقة التي تربط النقد العربي الحديث في بداية تشكله وبداية تأسيسه مع التراث هي علاقة تكامل، فهو لم ينطلق من فراغ، فقد وجد أمامه منظومة معرفية تراثية مثقلة لم يستطع تجاوزها أو يغيظ الطرف عنها في ظل الضغط التبشيري للقيم النقدية المستمدة من التجارب الغربية.

مما دفعه للقراءة الاستنساخية الإحيائية التي تعرف النقد العربي القديم، باعتباره ضرورة تاريخية «تستمد أهميتها من بعده الحضاري الذي يجعل الخطاب النقدي في آخر المحصلة جزءا لا يمكن فصله عن أشكال الخطاب العربي المعاصر الأخرى، فإن التحدي الذي طرحه الاحتكاك بالثقافة الغربية ضاعف من أهمية الاستناد إلى التراث النقدي»<sup>13</sup>. والعودة إليه لجعله القاعدة الأساسية للنهضة، خوفا من استلاب الآخر (الغرب) والتماهي معه.

وعليه يعد كتاب «الوسيلة الأدبية» للمرصفي من البحوث التي اتجهت لاستعادة علوم اللغة العربية، وذلك لفهم القرآن والحفاظ على المقومات التي تحكم الإنسان العربي الذي يتعرض للموج الغربي الحديث ومحاصرا من قبل سيل الدراسات النقدية الغربية.

ويمكن تصنيف دراسته ضمن القراءات التي تسعى إلى إحياء التراث وتاريخيته باعتبار الماضي تراث السلف، وجزءا من الهوية الثقافية العربية المعاصرة، وذلك بعد شعور العربي من الابتعاد عليه والنزوع نحو موج الدراسات العربية الحديثة.

ويؤكد عمر الدسوقي في هذا الشأن أن القيمة الحقيقية للمرصفي وكتبه، وبخاصة كتابه «الوسيلة الأدبية» هي أنه ألهم الشعراء والأدباء وحرك مواهبهم واستجاش ملكاتهم، وقد أشاد البارودي، واعترف بأنه تتلمذ عليه وعلى صاحبه، وكذلك اعترف شوقي والرافعي والعقاد بتأثير هذا الكتاب عليهم، وهذا ما يجعل المرصفي من أهم رواد البعث الأدبي الحديث<sup>14</sup> الذين بعثوا التراث من جديد وساهموا في نهضته ولو بالقليل، سعيهم في ذلك الحفاظ على روحه، حتى لا يبقى في رفوف المكتبات العربية مكدسا أو يكون معرضا للزوال والاندثار.

## 1-2- القراءة التشكيكية/ منهج الشك الديكاري:

يعد طه حسين من النقاد الذين فتحوا الباب على التراث بالدراسة والنقد والتحليل، وذلك في كتابه «الأدب الجاهلي»، فقد انطلق من مبدأ الشك الديكاري في المقومات والأسس التي يحتكم إليها الشعر الجاهلي، اعتمادا على لغته ومادته، وصولا إلى انتمائه التاريخي وفي هذا الصدد، نجده يقول: «وأول شيء أفاجئك به في هذا الحديث هو أنني شككت في قيمة الأدب الجاهلي وألححت في الشك، أو قل ألح عليا الشك، فأخذت أبحث وأفكر وأقرأ وأتدبر، حتى انتهت بي هذا كله إلى شيء إن يكن يقينا فهو قريب إلى اليقين، ذلك أن الكثرة المطلقة لما نسميه أدبا جاهليا ليس من الجاهلية في شيء، وإنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين ميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين (...)»<sup>15</sup>.

من هنا انطلق الباحث في دراسته، وهذا بعدما درس في أوروبا وتزود من معين الثقافة الغربية التي تدعو إلى التشكيك والنزوع نحو الهدم والبناء من أجل تحقيق الحداثة والتجديد والتطور في الفكر والنقد واللغة والأدب فقد شكك طه حسين في الأدب الجاهلي، بأنه لم يكن وليد العصر الجاهلي، بل هو انتحال من العصور التي جاءت بعده، ودليله في ذلك أن الأشعار والمعلقات الجاهلية بهذه القيمة الفنية والجمالية التي تتميز بها عن غيرها من أشعار، نجدها لا تنم إلا عن عقل بسيط، هذه البساطة التي عاشها الإنسان الجاهلي التي تتصف بفكر عقيم وحياة بسيط (إنسان، حيوان، طبيعة)، لا تمكنه من إبداع إنتاج فن راق مثل الرقي الجمالي الذي وصل إليه الأدب الجاهلي، وهنا يؤكد الناقد أن الأدب الجاهلي قد أوجدته عقول عاشت ونبتت في صدر الإسلام والعصور التي تلتها.

لكن المتأمل لكتاب طه حسين «في الأدب الجاهلي» يجد فيه شرح للتراث العربي وتهجم على الإبداع الجاهلي فقد ألفه الباحث بعد تشبعه بالفكر الغربي، وكذا نتيجة حصيلة الانفتاح المبكر على الغرب ووعيه الجيد لنتائج الآخر.

ويمثل هذا الموقف الانطلاقة الأولى في التشكيك في كل المعطيات اليقينية المرتبطة بالشعر القديم، فنجد فيه المفكر يصدر عن ذهنية ثقافية مختلفة المشارب والتوجهات بحيث «تجتمع في فكر طه حسين ونقده كما يرى البعض رؤيتان فلسفتان متعارضتان هما: تلك الصادرة عن الفلسفة التنويرية بما فيها من عقلانية والفلسفة الوضعية ذات التوجه الحسي التجريبي، هذا بالإضافة إلى الرؤية الفلسفية والمنهجية المغايرة، بل المتعارضة مع الآخرين والمتمثلة بالفلسفة الديكارتية، كما اتضح في منهجه الشكوكي»<sup>16</sup>، الذي يعتمد على التشكيك والشرح في المنظومة الفكرية العربية باعتبارها نتاج أبداعته عقول خلاقة، تسعى إلى التمرکز داخل الفكر الإنساني الشامل، داعيا في مقارنته إلى المبدأ الشك الديكارتية والذي يبدأ منه في إعادة قراءة الموروث الشعري العربي القديم وإخراجه من قداسته التراثية إلى الحداثة والتجديد، فهي مقارنة نقدية تتسم بجدة الرؤية وتحمل استراتيجيه نقدية تصحيحية.

هذا الموقف الذي حمّله الرجل ودافع عنه نجده قد تأسس على أبعاد تاريخية وانطباعية واجتماعية وكلها كانت ركائز مركزية تجسد وتدعم حجج وبراهين الناقد، كما تعتبر هذه الدراسة استجابة لروح العصر، فقد عاشت الثقافة العربية حقبة من الزمن الضعف والجمود والتقليد مقارنة مع الغرب الذي عاش في تطور وحداثة في مختلف الميادين وخاصة في اللغة والأدب والنقد.

وفي هذا الصدد انقسم المجتمع العربي إلى اتجاهين: بين مدافع على التراث وبين ما يدعو إلى الخروج من دائرة التقليد والجنوح نحو التجديد والتطلع للحداثة الغربية، وبالتالي «لم يكن طه حسين يرى من الصراع الذي كان يعرفه آنذاك المجتمع المصري في مختلف مجالات الحياة، إلا جانبا معينا في الصراع بين الفكرية التقليدية وبين البنية الليبرالية الجديدة، وقد ساهم من جانبه في إذكاء هذا الصراع من خلال مواقفه وأرائه ومناهجه التي يدعو إليها، كما تجلّى ذلك أيضا في لغته التي واكبت ذلك العصر»<sup>17</sup>.

ويمكن القول أن الدراسة التي جاء بها طه حسين قد أسهمت إلى حد بعيد في إثراء المواقف والجدال النقدي الذي كان قائما في عصره، وتمكن من خلال آرائه الانتصار للمذهب الليبرالي التقدمي الذي كان يدعو إلى التحرر من سلطة الموروث الشعري والانعتاق من التقليد، فأصبحت «قراءته للتراث استراتيجيه عامة لإعادة بناء الوعي بالتراث الشعري القديم وفق الآليات الفكرية الجديدة المستمدة من الغرب المتقدم»<sup>18</sup>.

وهنا سعى طه حسين إلى إخراج التراث من عزلته، وأن لا يبقى في الجمود والتقليد بل عليه أن يساير الدراسات الغربية الحديثة، فمستقبله مرهونا بالتطور الحاصل في الواقع العربي والغربي الحديث والمعاصر. وبالرغم من العيوب والمآخذ التي حملها النقاد المعاصرون على كتابه «في الأدب الجاهلي»، وكذا الطابع الجدلي الذي يميز كتابات طه حسين عن الأدب العربي القديم والتراث النقدي، تبقى دراسة الباحث المصري طه حسين رحمة الله عليه عملا جادا في مقارنة التراث الشعري القديم يضاف إلى جل الدراسات العربية عامة والمكتبة الأدبية خاصة، فقد جاءت لتضع أيديها على الأوجه المضيفة في تراث الأجداد، سعيًا منها لاستنطاقه ومسايرته للدراسات الغربية التقدمية.

كما استطاع طه حسين صياغة أسئلة كبرى تتجاوز حدود الأدب والنقد، لتتسع لأسئلة ذات طابع ثقافي وإيديولوجي عام مثل: سؤال الهوية وسؤال الأمة، وغيرهما من الأسئلة التي كانت تحاول مقارنة مرحلة من أخطر مراحل التاريخ العربي الحديث من خلال جمعه بين ثلاث أطراف في معادلته النقدية وهم: التراث النقدي والنقد العربي المعاصر والنقد الغربي.

تلك المعادلة النقدية التي ما تزال لدى الناقد العربي تعرف الفوضى والتشويش والضبابية والغموض في الدراسة والتحليل للنصوص التراثية.

### 1-3- القراءة التاريخية (الوعي بالتاريخ):

لقد كان بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي»<sup>\*</sup> من الأوائل الذين طبقوا هذا المنهج التاريخي على الأدب العربي، ومن ثم نسج على منواله ثلة من النقاد على رأسهم جورجى زيدان في كتابه «تاريخ آداب اللغة العربية»، وتبعه في ذلك عمر فروخ وآخرون.

وفي السياق نفسه ظهرت تقسيمات العصور في هذا المنهج، والتي نلمح مظاهرها في كتابات شوقي ضيف وغيره من مؤرخي الأدب العربي في مراحلها المختلفة.

وتوصل المؤرخون للأدب أن المنهج التاريخي يقوم على «دراسة الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية للعصر الذي ينتمي إليه الأدب، ويتخذ منها وسيلة أو طريقاً لفهم الأدب وتفسير خصائصه واستجلاء كوامنه وغوامضه»<sup>19</sup>. وقد بينّ طه حسين أن الوعي بالتاريخ ضرورة ملحة لفهم التراث العربي القديم، وذلك بتحديد الخطوط العريضة التي تتحكم في هذا المنهج في المقدمة التي وضعها لكتابه «تجديد ذكرى أبي العلاء»، حيث قال: «ليس الغرض من هذا الكتاب أن نصف حياة أبي العلاء وحده وإنما نريد أن ندرس حياة النفس الإسلامية في عصره»<sup>20</sup>، وهنا يبين طه حسين أننا عندما ندرس ونقارب مبدع يجب أن نربطه ببيئته وعصره الذي عاش فيه، فلا ندرسه بعيداً عن سياقاته والظروف التي نشأ فيها عمله الفني والأدبي، لذا فأبو العلاء حسب طه حسين «صورة مرتبطة بواقع طالما كان منشداً بكل أطرافه لاتجاهات الزمان والمكان والبيئة والعصر والجنس، وما ينبثق عنها من معطيات وأيديولوجيات سياسية واجتماعية وثقافية فهو عصارة ذلك التكوين المتشابك كله وهذا هو المنهج التاريخي في عمق مغزاه»<sup>21</sup>.

وتوصل الناقد طه حسين أن الكتابة وفق المنهج التاريخي، نجم عنه تعدد الرؤى واختلافها، ومن ثم خلص إلى نتيجتين مفادهما:

\_\_ أولهما: أن الأخذ بتاريخ النقد بوصفه منهجاً للنظر في التراث النقدي، فقد طرح سؤالاً عميقاً على الدارسين آنذاك مفاده أن النقد العربي القديم ليس سوى تجلٍ من تجليات العصر الذي انبثق منه، وهو ما أزاح عنه هالته القدسية وهيبته التاريخية وجعل النقد يقبلون على دراسته كما يقبلون على دراسة أي متن آخر.

\_\_ ثانياً: يمكن القول أن المنهج التاريخي قد أبان عن اختلاف في وجهات النظر حول شتى القضايا بين النقاد القدماء أنفسهم، مما يعد مدعاة لشرعية الاختلاف لقراءة ما أنتجوه.<sup>22</sup>

ونجد إلى جانب المجهودات التي قام بها عميد الأدب العربي طه حسين والتي تدعو بدورها إلى كتابة تاريخ جديد للأدب العربي، ظهرت مؤلفات كثيرة تنحو هذا المنحى وإلى استحضار المنهج التاريخي في قراءة التراث العربي. ومن تلك المحاولات، نجد: الدراسة التي قام بها الباحث إحسان عباس في كتابه الموسوم بـ «تاريخ النقد الأدبي عند العرب»، وتعتبر هذه القراءة «نموذج من نماذج القراءة التاريخية التي أنجزت للتراث النقدي بعد جيل الرواد»<sup>23</sup>. كما يمثل إحسان عباس واحداً من القلائل الذين ربطوا بين التراث القديم والنقد الحديث، وذلك للجمع بين الفرع والأصل.

والمأمل لكتاب إحسان عباس يجد أنه عمل على رصد معالم تاريخ النقد العربي، فقد سعى فيه الباحث إلى تتبع مقوماته عبر التاريخ العربي والفكري والفني، بعيد عن الكتب الأخرى التي بقيت تسبح في منطقة واحدة من التراث، دون أن تقدم قراءة واعية للتاريخ النقدي، الأمر الذي يجعل كتاب «تاريخ النقد الأدبي عند العرب» مدخلا منهجيا في باب، خاصة إذا عرفنا أن أغلب الدراسات المتاحة في التراث النقدي تكاد تتحرك في منطقة واحدة محدودة من مناطق التراث النقدي، وتنظر في مادتها نظرة جزئية تفصل الظواهر عن سياقها وتعجز حتى للوصول إلى الأفق الرائدة التي وصل إليها طه حسين وطه إبراهيم في ثلاثينيات القرن الماضي<sup>24</sup>.

وما يميز القراءة التي جاء بها إحسان عباس، أنها قراءة واعية بالتراث ومستوياته بعيدا عن التعجل والشرح أو الارتقاء في حضن التراث، وهذا ما يؤكد عبد العزيز النعمان في كتابه «فن الشعر بين التراث والحداثة» قائلا: «فقد أزاح الحاجز الذي أقيم بين المعاصرين وتراثهم عن طريق القراءة المتأنية المتدوقة»<sup>25</sup>، وعمل على مقارنة التراث ودراسته بموضوعية وعلمية، وحرص على توثيق العلاقة بين الأبعاد النظرية ذات البعد الفلسفي الكلامي في النقد وبين الأبعاد التطبيقية التحليلية التي تنكب على مقارنة نصوص بعينها، وكان يرى أن المستويين معا يتجاوب الواحد منهما مع الآخر تجاوب التأثير والتأثر<sup>26</sup>.

وهنا ظل الناقد إحسان عباس ناقدا تطبيقيا جمع بين عدة مناهج في دراساته النقدية، عُرفت في تاريخ الأدب وتاريخ النقد بوجه خاص، باعتبار المنهج التاريخي ضروري لتأصيل المنظومة المعرفية وإحيائها من جديد، وعليه فإن «قدرتنا على الإبداع تكمن في قدرتنا على إعادة توليد الأفكار التي تلقيناها عبر التاريخ»<sup>27</sup>.

فالتاريخ حسب الناقد هو مصدر الأفكار وأساس الإبداع، والسبيل الوحيد للمعرفة وفحصها وتحليلها، باعتباره المنهج الصالح لتحليل معطى معرفي أنشئ في ظروف تاريخية معينة.

وعندما نريد التعرف على خطوات التي حكمت منهج إحسان عباس في كتابه «تاريخ النقد الأدبي عند العرب» نجد أنه زواج بين القراءة الداخلية والخارجية للنصوص، فقد اهتم بالنصوص النموذجية التي تمثل الريادة والرواج في النقد العربي القديم، على سبيل المثال: يبدأ بوقف مطولة عند نقاد القرن 4هـ، وقد حصره في ثلاثة شخصيات رئيسة وفي هذا الصدد يقول: «إذ لولا ثلاثة أشخاص كانوا قوى دافعة في توجيه النظرية الشعرية في نقد القرن الرابع، لقد رنا أن يكون حظ ذلك النقد في الاتساع أقل مما أتيح له»<sup>28</sup>.

ويتعلق الأمر بأعلام بارزين هم: أبو تمام والمتنبي وأرسطو، ودورهم الريادي في توجيه النقد العربي القديم، حيث «كانوا يجسدون في الواقع أهم القضايا النقدية في القرن الرابع للهجري»<sup>29</sup>، وبالتالي كانت لهم المكانة الريادية في تطور الحركة الأدبية والنقدية آنذاك والملاحظ على تاريخ النقد أنه كان زاخرا بالمجهودات والأعمال التي قدمها هؤلاء للتأصيل والتأسيس لأراء نقدية عربية.

من هنا يمكن حصر ملامح منهجه النقدي في مؤلفه، وقد تأسس وفق عدة مرتكزات أساسية، وهي:

— دراسة الشخصيات مرتبطة بأبعاد سوسيو ثقافية، فلا يمكن التفريق بين ما هو اجتماعي صرف، وبين ما هو فردي صرف.

— يضع عناوين رئيسية لكل الفصول، فمثلا: النقد العربي في القرن الرابع، ثم يتبع ذلك بعناوين فرعية مثل: اعتماد الذوق الفني في إنشاء نظرية شعرية والصراع النقدي حول أبي تمام.

— الإشارة إلى الشخصيات التي مثلت القرن الرابع، وبسط مجهوداتها وقضاياها النقدية.

— اعتماد منهجه على التكامل بين مكونات التاريخ النقدي في تحليل العمل الفني.

— نقده لكتاب «عيار الشعر» للناقد الجليل ابن طباطبا العلوي (ت322 هـ)\*، بالتركيز على وحدة القصيدة باعتبارها أساس العمل الشعري الذي يحكمه الخيال.

— الحديث عن السجال والمعارك النقدية التي وقعت في التراث العربي القديم حول شعر أبي تمام والكتب التي ألفت حول هذه القضية ونخص بالذكر كتاب «الموازنة» للآمدي، الذي يعتبر وثيقة تعبر عن تاريخ نقدي كان مفعما بالجدال والسجال النقدي آنذاك، فمثلا الحوار الذي دار بين أنصار البحتري وأنصار أبي تمام، وقد لاحظ الناقد انتصار الآمدي للبحتري لأنه يجري في شعره مجرى القدامى<sup>30</sup>.

في الأخير يمكن القول: إن ما يميز منهج إحسان عباس في كتابه هو أنه كان يشده موقف متكامل مبني على أساس التفسير والتحليل والتقييم، باعتبارها أسس ودعائم منهجه النقدي الذي مزج فيه بين ما هو نظري وبين ما هو تطبيقي.

كما يمثل مؤلفه مرحلة انتقالية في حياة النقد، سارت فيها الدراسات النقدية العربية من «القراءة التاريخية إلى القراءة الوظيفية التي تحمل في طياتها ملامح نقد النقد في قراءة التراث النقدي»<sup>31</sup>.

وعليه يعد الناقد إحسان عباس من النقاد القلائل الذين قرؤوا التراث من وجهة تاريخية التي جمعت بين الجانب النظري والوظيفي في الكشف عن خبايا التراث وجهود القدامى فيه، مراعيًا في ذلك الموضوعية في المعالجة والعلمية في الطرح والتحليل.

بعد هذه الجولة في مواجهة القراءة النقدية للتراث العربي، يمكن التوصل إلى عدة نتائج: إن قضية البحث عن المنهج الأنسب في قراءة التراث قد شكلت نقطة المركز في الدراسات العربية الحديثة ورسمت الموجهات الأساسية للتعامل مع النتاج العربي القديم، كما طرحت عدة معضلات كانت محل نقاش وجدال بين النقاد والدراسين، لعلها المنطلقات والخلفيات المتحكمة في القراءات المتنوعة للتراث والموجهة له في الدرس العربي النقدي الحديث.

لكن رغم السقطات التي وقعت فيها تلك القراءات، تبقى بحوثا و دراسات أسهمت بقدر فعال في تحريك فكر الباحث العربي عموما والفكر النقدي بشكل خاص، كما أفرزت مجموعة هائلة من القراءات النقدية الحداثية وتقترح في الوقت نفسه مجموعة من البدائل المنهجية والإجرائية والجمالية التي تبشر بلغة نقدية جديدة تتداولها كوكبة من الباحثين مع الانفتاح على رياح الغرب الوافد<sup>32</sup>.

**1-4-4-1 القراءة الحداثية:** وهي القراءة التي تميّز بها الخطاب الأدونييسي في مشروعه النقدي حيث جاءت جل كتبه تتحدث عن ذلك، ابتداء من أطروحته الموسومة بـ «الثابت والمتحول» إلى الشعرية العربية الذي جاء تلخيصا له، طرح فيه الناقد أهم المبادئ والمقومات التي نستطيع من خلالها إعادة تحديد الشعر العربي القديم وإضاءته ونخصته.

#### 1-4-4-1 إستراتيجية قراءة الشعر عند أدونيس:

يعرف أدونيس فعل القراءة بقوله: «قراءة النص هو طريق لفهم الشعر ووسيلة لمواكبة الأفق الإبداعي في النص المقروء وكيفية بناء ذلك الخلق الفني، وعليه تفترض قراءة النص الشعري إغناؤه من حيث أنها سير في الأفق الذي يفتحه، ومن حيث أن هذا السير لا ينتهي، لأنه استقصاء للعمل الشعري وعلاقات رموزه وصوره، ومن هنا ليس للنص الشعري معنى، كما كان يفهم تقليديا، وإنما هو حركية من الدلالات، إنه بتعبير آخر، لا يقدم اليقين بل الاحتمال، إنه نص يتجدد مع كل قراءة، لا ينتهي، ولا يستنفد، هذا ما يميز الأعمال الشعرية الخلاقة»<sup>33</sup> لتصبح القراءة عنده فعل اختراق النص من أجل القبض على الدلالة والمعنى ولمس جماليته، كما تسمح لنا بتقويم الأعمال الإبداعية جيدها من رديئها.

كما أشار أدونيس إلى أزمة قراءة التراث في الثقافة العربية، وكيفية تعامل القارئ العربي مع النصوص التراثية، لأنّ تلك الدراسات والقراءات التي راحت تقارب التراث الشعري لم تصل إلى المطلوب، بقوله: «ليس هناك قارئ عظيم ليمارس فعل التأويل لهذه النصوص الممتازة، بل تأويل يفتح لها الأفق الذي نطمح إليه ويدخلها في نسيج الثقافة الكونية، وهذا كله مسؤولية القراءة»<sup>34</sup> التي تسمح بفتح الطريق للقارئ نحو البحث عن دلالة النص الشعري، وتصبح إذن تلك «النتائج الفنية هي موضوعات قصدية لا تتحقق إلا بعد تلقيها وقراءتها، ومن هنا فالأعمال الفنية والجمالية هي أعمال مفتوحة دلاليا، وبنيات غير مكتملة، تستوجب من القارئ إتمامها وملا فجواتها وثرغاتها وبياضها حسب توقعاته»<sup>35</sup>.

وكان هدف أدونيس من وراء ذلك الوصول إلى قراءة واعية وفاحصة للنص الشعري القديم تمكنه من الدخول في دائرة الحداثة والتجديد، حيث نجده يؤكد هذا بقوله: «أطمح الآن إلى تأسيس قراءة جديدة، إن أزمة الثقافة العربية اليوم في جميع جوانبها، هي أزمة قراءة أكثر مما هي أزمة كتابة، وهذه الأزمة لا تتعلق بقراءة النصوص الحديثة فقط وإنما بقراءة النصوص القديمة أيضا، والقراءة السائدة اليوم، وبشكل خاص للنصوص القديمة كارثة، وهي كارثة معرفية، وهذه الكارثة صارت كأنها أول من ينقض جمال القديم كله وعظمة القديم كله، ويشوّه أو يموه أو يكبت

الإشعاعات الممكنة والكامنة في النصوص القديمة (...) وما أقوله عن قراءة النص القديم أقوله عن قراءة النص الجديد».<sup>36</sup>

وقد وضع أدونيس عدة شروط لقراءة النص الشعري أهمها:

- القدرة على استعادة الحالة الشعورية، والخالية والفكرية وراء النص المقروء.

- القدرة على التمييز بين التجارب الشعرية، مما يفترض من القارئ الثقافة الشعرية الواسعة.

- القدرة على التقويم الجمالي، والذي يتطلب من القارئ والناقد حسا نقديا وفهما حقيقيا<sup>37</sup>.

إذ لا بد من تغيير منهج قراءة النص التراثي وإعادة النظر في تاريخ الشعري العربي وقيمه ومفهوماته ودلالته التقليدية من أجل تحديثه وتجديده، حيث قال أبوتام: ذات مرة إلى أحد النقاد مقولته المشهورة في شكل سؤال: «ولم لا تفهم ما يقال؟ ردا على من سأل: لماذا لا تقول ما يفهم؟ كان يشير إلى مسألة أساسية هي أن الوضوح والغموض ليس في الشيء بل في الذهن وليس في القصيدة بل في القارئ»<sup>38</sup>.

وهنا تكون الأزمة في الفهم وليس في النص، فالخلل في القارئ الذي يتلقى النص وليس في النص نفسه، فالواضح - حسب أدونيس - هو ما لا يحمل القارئ أية دلالة تضاف أو تفتح أفقا جديدة، بينما الغامض هو ما يستثير القارئ ويجعله يتجاوز تلقي الأجوبة إلى طرح الأسئلة على ذلك النص ليساهم هو الآخر في بناء ذلك النص وتصبح الأسئلة تلك القوة التي يمتاز بها إنسان عن آخر<sup>39</sup>.

وهذا الفعل يتطلب ناقدا واعيا وحصيفا وحاذقا وذلك نظرا لما يحمله فعل القراءة من فكر يهرب من كل قيد، فالمهمة - إذا - ستصبح مضاعفة أمام إستراتيجيات التأويل الغائمة والمستعصية أحيانا كثيرة، لتكون القراءة «فعلا خلافا يقرب الرمز من الرمز ويظم العلاقة إلى العلاقة، وسير في دروب ملتوية جدا من الدلالات نصادفها حيناً وننوهها حيناً فنختلقها اختلاقا»<sup>40</sup>، بوصف القراءة فعلا معقدا وشائكا، يشبه تعقيد إبداع النصوص الأدبية وإنتاجها<sup>41</sup>.

لذا على المؤول أن يتسلح بآليات التأويل تجعله يكابد المصاعب من أجل الوصول إلى المعنى والهدف المنشود، كما يتطلب من «القارئ الخاص والمتلقي الواعي الذي يملك الحساسية النقدية، نظرا إلى سعة اطلاعه على التراث الأدبي والفكر الموروثي، بكل ما فيه من جدليات، وتيارات، ومدارس أدبية وشعرية مختلفة»<sup>42</sup>.

وهذا ما يؤكد أدونيس، فقد دعا إلى إسهام القارئ في بناء النص، ودوره الفعال في عملية البحث عن أسرار، منبهة إلى ضرورة أن يكون المتلقي ذا معرفة وخبرة في الوقوف على دلائل الصورة، بما احتوته من دقيق المعنى ولطفه؛ فالمتلقي عنده يشبه الغواص الماهر ويتعب بل يبذل جهده في الحول والحيلة، باحثا عن الأصداق قادرا على أن يشقها للوصول إلى الجواهر طلبا للمعنى والدلالة في النص<sup>43</sup>.

وهنا يشير عبد القاهر الجرجاني إلى عملية القراءة، فهي ليست بالأمر السهل، عملية صعبة تتطلب مكابدة وجهدا كبيرا، لذا «فإنك تعلم على كل حال أن هذا الضرب من المعاني، كالجوهر في الصدف لا يبرز لك إلا أن تشق عنه، وكالعزير المحتجب لا يريك وجهه، حتى تستأذن عليه، ثم ما كل فكر يهتدي إلى وجه الكشف عما

اشتمل عليه، ولا كل خاطر يؤذن له في الوصول إليه، فما كل أحد يفلح في شق الصدفة، ويكون في ذلك من أهل المعرفة، كما ليس كل من دنا من أبواب الملوك فتحت له»<sup>44</sup>.

نفهم من قول الجرجاني أن مهمة المتلقي ليست مجرد الاستحسان أو الاستهجان، بل البحث والتنقيب وإعمال الفكر، وليس كل متلق يهتدي بفكره إلى وجه الكشف عما اشتملت عليه الصورة من معان دقيقة، بل يتطلب الأمر أن يكون المتلقي قادرا على إدراك العلاقات في مجال الصورة، ومن أهل المعرفة والتفكير حتى يستطيع اكتشاف المعنى حينها تصبح القراءة «مجموعة فرضيات وأحلام متبوعة بيقظة وأمل أو خيبة أمل»<sup>45</sup>.

ويكون الطريق شاقا والمسافة طويلة حتى يتمكن القارئ من إيجاد ضالته في البحث عن الدلالة والقبض على المعنى. لأننا بحاجة اليوم، وهي مهمات الأولى للنقد «استقصاء جمالية القراءة السائدة التي لا تزال توجهها تقليدية النوع الشعري الموروث وطريقتها في التدقيق والتقويم، وأنه لا بد من تجاوز هذه التقليدية (...) ورفضاً لتلك القراءة السائدة، فهما وأحكاما، ورفضاً لمقاييس جمهورها، فإذا كانت الكتابة الشعرية الإبداعية تخلق قارئها فيما تخلق أفقها، فإن حاجتنا اليوم، كتابة ونقدا نستطيع من خلالهما الوصول إلى جمالية القراءة الإبداعية»<sup>46</sup>، وفنياتها التي تثير انفعال النفس نحو النص وتدوقه.

كما وضع أدونيس أن قراءة النص لا تستوجب النظر إليه أنه معطى اجتماعي أو تاريخي أو اعتباره معطى لغويا خطيا، ولكن قراءة ضمن نتاج إنساني إبداعي خلاق، فهو «ليس انعكاسا نفسيا وذاتيا، كما أنه ليس مجرد انعكاس واقعي اجتماعي، إنه قبل كل شيء كشف، أعني أنه ليس وثيقة عن المعطى وإنما اختراق وتجاوز»<sup>47</sup>. فالشعر حسب لا يعيد تصوير الواقع الفوتوغرافي، ولكن يسعى لتغييره بنظرة أخرى استشرافية مستقبلية، تلك النظرة «التي تتخطى سلطة العقل المنطقية وتتجاوزه إلى ما هو بعدي مستقبلي»<sup>48</sup>.

وأشار أدونيس من خلال حديثه عن القراءة المثلى للنص الشعري إلى القراءات التي سبقته في مقارنة التراث الشعري القديم في الثقافة العربية، كانت قراءات تقليدية لم تصل إلى المطلوب لأنها اتبعت المنهج القديم في التعامل مع التراث، فوقع في التقليد، ولم تستطع النهوض بالتراث وإضاءته، وكانت ترى في الخطاب الشعري أنه يركز على مبدئين هما:

- أولا/ مبدأ المطابقة مع الواقع: باعتبار النص نسيجا على منوال القدماء وتقليدهم في بناء الشعر، أوقعهم في الجمود، فأصبحت أعمالهم منسوجة على مثال ونموذج ألفناه واعتدناه وهنا تكون المطابقة «ليس إلا توكيدا على موت الشعر فحين تتطابق المعاني والأشكال في الشعر، عبر تاريخ الشعب لا تعود المسألة مسألة شعر نبذعه بل مسألة شعر نكره ويعني ذلك أننا نكون في حالة من موت الشعر»<sup>49</sup>، وعندها يذهب الإبداع وترحل عنا الجمالية. فالجمالية حسب أدونيس تنحصر في طريقة إبداع الشعر عند الشاعر، كل بطريقته الخاصة فلا تكون الجمالية في التقليد والمحاكاة والسير على النموذج القديم، وإنما يتجسد الجمال في الاختلاف والتغير والإتيان بالجديد «فالجمال الشعري يكتشف باستمرار في كل قصيدة ومع كل قارئ، فريدا، وجديدا، هكذا تكون خاصية الشعر الأولى هي أنه لا يقلد أنموذجا للجمال الشعري موجودا بشكل أولاني أو مسبق سواء اتخذ هذا التقليد شكل المحاكاة أو شكل

المضاهاة، إن خاصية الأولى على العكس هي في الكشف عن الجمال غير المعروف ولهذا فإن علم الجمال الشعري هو علم جمال التغير والاختلاف، وليس علم الجمال الثبات والمطابقة»<sup>50</sup>.

- ثانيا/ مبدأ الفاعلية الوظيفية: قائم على النظر إلى الشعر بوصفه أداة لخدمة اتجاه ما أو إيديولوجيا معينة وبالتالي يفقد حيويته ومعناه ومحتواه، فيصبح مجرد وسيلة تستمد أغراضها من وظيفتها، وتتجرد الشعر من ذاتيته ومن وظيفته الأساسية وهي الرفض والتجاوز والتغير والثورة واستشراف المستقبل. وسبب رفضه لهذا المبدأ، لأنه يرى أن أول من سلك هذا الطريق هم شعراء الدعوة الإسلامية، وفي هذا خضوع لواحدية فيها عودة دائمة للسلف والجذر القديم.

وقد تساءل أدونيس عن حقيقة الشعر أين نجدها؟ إذا كنا لا نلمس قيمته في كونه مطابقة أو أداة، فأين؟ إذن «نلمسها في شيء آخر ما سميت به بالكشف أعني طاقة الكشف عن علاقات جديدة بين الكلمات والأشياء وبين هذه جميعا والإنسان، علاقات تجدد الواقع والإنسان وتجدد اللغة وينتج عن ذلك على صعيد التقويم، أننا لا نقيس القصيدة التي نقرأها ونقومها بمدى إحيائها المرجعية في عالم عرفناه وألفناه، بل بمدى قدرتها على توليد إحياءات جديدة، تنقلنا إلى عالم لا نعرفه»<sup>51</sup>، حينها تكون القراءة خلقا وإبداعا وكشفا ورفضاً وسفراً نحو المجهول للغوص في عوالم الباطن.

مما يجعلها ذات «مستويات متعددة، لا تقف عند البنى السطحية للنصوص المقرؤة وإنما تحاول الوصول إلى البنى العميقة فيها كما لا تخضع النصوص لقصد أصحابها، بل تخضعها لاستراتيجيات معقدة من التفاعل بين القارئ/ المؤول، بما يمتلك من معرفة وخبرات جمالية من جهة، وبين النص من جهة أخرى، فينتج من هذا التفاعل استجابات قرائية تكشف عن إمكانات وإجراءات مقروئية جديدة، تتجه نحو فهم الدلالة المغيبة وفك رموزها، والكشف عن تعددية المعاني فيها»<sup>52</sup>.

وعليه يصبح القارئ مشاركا في إنتاج النص من خلال تحليله وقراءته واستنباط دلالاته فيتحول بذلك إلى مؤلف ثاني للنص جديد وهذا ما طرحته مدرسة كونستونس الألمانية في نظرية التلقي الحديثة: أيزر، يابوس، إنجاردين. ويمكن أن نستخلص أن القراءة عند أدونيس تهدف إلى:

- مرافقة النص الشعري في رحيله الاستكشافي.
- طريقتها في المعرفة وفي التغير.
- البحث عن قيمته المعرفية<sup>53</sup>.

- بعدها الجمالي، وكيفية استقصائها لإمكانات اللغة، وللتشكيل اللغوي الذي لم يكشف جيدا، أو لم يكشف عنه أصلا، وفي هذا الصدد يقول: «لا تقدم لنا شعرية القراءة عالما واضحا وبقينيا، وإنما على العكس، تدفع بنا إلى أبعد أفق في النص الشعري، إنها تشكل معرفة تتماهى مع التغير والحركة والالتباس وهي بذلك معرفة مفتوحة، شأن النص، ذاته، وشأن الإنسان والعالم»<sup>54</sup>، وهذه هي القراءة الإبداعية الخالقة التي تدفع بنا لاكتشاف المجهول، وهنا لا تكون القراءة «بمعناها المعجمي تتبع كلمات النص نظرا ونطقا أو نظرا فقط، إنما تكون باقتحام

عالم النص والغوص في تجربة المبدع من خلال محاولة افتراضه واكتشاف آفاقه وأغواره»<sup>55</sup>، باعتبار وظيفة النص «انفتاح النص على عوالم جديدة، وطرق جديدة للوجود في العالم»<sup>56</sup>، لتصبح القراءة عند أدونيس فعل إبداعي خلاق أساسه الغوص داخل عوالم النصوص للبحث عن فضاءات جديدة والعمل على استنباط المعاني والقبض على الدلالات، وهذا لا يتأتى إلا إذا تجنبنا القراءات السطحية الباهتة التي تعامل النص كنظام متكونا من مجموعة العلاقات اللغوية وسلكنا القراءات العميقة الاستكشافية التي تقارب النص فعلا وانجازا وتحاول إنتاجه من جديد. كما أكد أدونيس أن الدخول في العوالم الشعرية الجديدة والسعي إلى تحليلها، يتطلب من القارئ الحضيف التجديد في الآليات والوظائف، أي إيجاد بدائل أخرى لمقاربة النص فالشعر الجديد يتطلب نقدا جديدا.

### الخاتمة:

يمكن القول: إن هذا التعدد القرائي للتراث يرجع إلى تعدد الخلفيات النقدية التي انطلق منها كل ناقد في مقارنته للتراث محاولا استنطاق معانيه ونفض الغبار عليه، ليكون قاعدة أساسية لعيش حاضرا والقفص نحو المستقبل لتحقيق النهوض والازدهار والتقدم.

وعليه فالعملية القرائية للتراث تسعى إلى فهم الماضي وقراءة الحاضر والواقع الذي نعيشه ونسعى لتطويره، وقد تحدث جابر عصفور عن هذه الثنائية، التراث والحاضر فقراءتنا للتراث «لا ينبغي أن يمنعنا من اتخاذ موقف نقدي منه في ضوء وعينا المعاصر وما يؤرقه من مشاكل وقضايا. ولا بأس أن يتغير هذا الموقف مع تغير العصر وتطور قيمه فالمهم هو أن يكون لنا باستمرار موقف واضح من التراث، ليكون هذا التراث متفاعلا مع حاضرا لا مجرد صفحات موجودة في كتب مطبوعة أو محفوظة، نكتفي بالإشارة إليها»<sup>57</sup>.

وبالتالي يمكن القول إن ما جاء به جابر عصفور موضوعي إلى حد بعيد، حيث كان يهدف من ورائه أنه لا ينبغي أن يدرس التراث لذاته «بل إن كل قراءة له لها بعدان رئيسان: أولها يصب في التراث نفسه من أجل إدراك منطقته الداخلي، وثانيهما يرمي إلى ربطه بالنقد العربي الحديث كي يسهم في تطويره»<sup>58</sup>، لذا فالسبيل الوحيد للتقدم هو مدى قدرة تواصلنا مع التراث العربي ومحاورتنا للآخر، فالمشكلة التي يطرحها المثقف العربي اليوم \_أظنها\_ ليست متعلقة بثنائية الأصالة والمعاصرة أو التراث والحداثة، وإنما المعضلة تكمن في مدى قدرة تفاعلنا مع تراثنا والآخر وفي هذا الصدد يرى علي حرب أن سبب تخلفنا راجع إلى «عدم القدرة على تحويل المعرفة بالتراث من معرفة ميتة إلى معرفة حية كما تتجلى أيضا في عدم القدرة على إنتاج حقائق جديدة حول وقائع العالم المعاصر أو على تكوين ميادين علمية تغطي معرفيا ممارسات وأنشطة متنوعة وتنشعب باستمرار»<sup>59</sup>.

وهنا تصبح المعرفة بالتراث أداة من أدوات التقدم والرقي، لذا يجب على الباحث العربي أن يدرسه ويحلله بحثا عن الأوجه المضيفة فيه، فالوعي به ضرورة تملئها حاجيات الحاضر العربي بغية إصلاحه وصناعة مستقبله، وبالتالي يتحول الماضي إلى قوة فاعلة في تحرير الحاضر العربي من كل سلطة أجنبية خارجة عنه، وهنا يجب على المثقف العربي أن ينتهي بوعيه إلى نتيجة مفادها أو مؤداها الخروج من قضية التراث من كونها قضية الماضي لذاته أو كونها إسقاطا للماضي على الحاضر، إلى كونها قضية الحاضر نفسه وذلك من خلال رؤية الحاضر في حركة صيرورة تتفاعل في

داخلها منجزات الماضي مع إمكانات المستقبل تفاعلا ديناميا تطوريا صاعدا<sup>60</sup>، ذلك التفاعل الذي يسمح لنا بخلق حوارا فعالا بين الحداثة والتراث عن طريق وعي نقدي ممنهج، حتى يكون سببا في تطورنا ونهضتنا.

#### قائمة المصادر والمراجع:

- 1- إبراهيم الحاي، 1984م، حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 2- إحسان عباس، 1971م، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- 3- أحمد بوحسن، 1995م، الخطاب النقدي عند طه حسين، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- 4- أدونيس، 1989م، كلام البدايات، ط1، دار الآداب، بيروت، لبنان، 1996م. سياسة الشعر، ط2، دار الآداب، بيروت، لبنان.
- 5- أسامة اسبر، 2010م، أدونيس الحوارات الكاملة (1960، 1980)، ط2، بدايات للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.
- 6- طه حسين، 1352هـ، 1933م، في الأدب الجاهلي، ط3، مطبعة فاروق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- 7- محمد مبارك، 1999م، استقبال النص عند العرب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
- 8- محمود عباس عبد الواحد، 1996م، قراءة النص وجماليات التلقي، (بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي)، دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.
- 9- محمود مير، دت، أسئلة النقد الأدبي العربي الحديث خلال العقدين السابع والثامن من القرن العشرين (الفضاء الثقافي والبناء المنهجي، دار الأمان، الرباط، المغرب).
- 10- بسام قطوش، 1998م، استراتيجيات القراءة (التأصيل والإجراء النقدي)، ط3، دار الكندي للنشر والتوزيع، أربد، الأردن.
- 11- جابر عصفور، 1992م، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.
- 12- جميل حمداوي، 2015م، نظريات القراءة في النقد الأدبي، ط1، مكتبة المتكف، المغرب.
- 13- حسن مخاني، 2016م، المفهوم والمنهج في القراءات العربية المعاصرة للتراث النقدي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.
- 14- حسين المرصفي، 1982م، الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية، ج1، تح: عبد العزيز الدسوقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

- 15- حسين الواد، يناير 1985م، في مناهج الدراسات الأدبية، ط2، مؤسسة بنشرة للنشر والتوزيع، دار البيضاء، المغرب.
- 16- حسين مروة، 1988م، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، ط6، دار الفارابي، بيروت، لبنان.
- 17- سعد البازعي، 2004م، استقبال الآخر، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.
- 18- صقر أبو فخر، 2000م، حوار مع أدو نيس، ط1، المؤسسة العربية للدراسات للنشر، بيروت.
- 19- عبد العزيز النعمان، 1991م، فن الشعر بين التراث والحداثة، ط1، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، لبنان.
- 20- عبد القاهر الجرجاني، (دت)، أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السعودية.
- 21- عصام شرتح، 2018م، الشعرية بين فعل القراءة وآلية التأويل (دراسة في التلقي والتأويل الجمالي)، ط1، دار الخليج للصحافة والنشر عمان، المملكة الأردنية الهاشمية.
- 22- علي حرب، 1994م، أسئلة الحقيقة وروايات الفكر، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان.
- 23- محمد عابد الجابري، 1989م، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، ط1، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.
- 24- مصطفى شبيعة، 2013م، القراءة التأويلية للنص الشعري التراثي (بين أفق التعارض وأفق الاندماج)، عالم الكتب الحديث إربد، الأردن.
- المراجع المترجمة:
- 1- بول ريكور، نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط2، 2006م
- المقالات:
- 1- جمال سلطان، حسين المرصفي صاحب كتاب "الوسيلة الأدبية" الذي أسس النهضة الأدبية الحديثة صحيفة مصريون، قسم وجهة نظر، 30 نوفمبر 2014.
- 2- نبيل محمد صغير، جدل الشعرية وتحولاتها بين البنية والتفكيك عند أدونيس، مجلة الأثير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو الجزائر، ع26، سبتمبر 2016م.
- 3- زهير غازي زاهد، قراءة النص، مجلة ينابيع، كلية الآداب، جامعة الكوفة، العراق، ع19، رجب، شعبان 1428هـ.

#### المراجع الأجنبية:

1-Sartre, J, P. (1948) (1987): *Qu'est-ce que la littérature*. Dans situations II. Paris: Gallimard.

## الهوامش والإحالات:

- <sup>1</sup> مصطفى شميعة، القراءة التأويلية للنص الشعري التراثي (بين أفق التعارض وأفق الاندماج)، عالم الكتب الحديث إربد، الأردن، 2013م، ص 99.
- <sup>2</sup> مصطفى شميعة، القراءة التأويلية للنص الشعري التراثي (بين أفق التعارض وأفق الاندماج)، مرجع سابق، ص 99.
- <sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 99.
- <sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 100.
- \* الشيخ حسين أحمد المرصفي ت 1889م، هو شيخ الأدباء في العصر الحديوي إسماعيل، وهو أوائل أساتذة دار العلوم عند إنشائها.
- <sup>5</sup> حسين المرصفي، الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية، تح: عبد العزيز الدسوقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ج 1، 1982، ص 20.
- <sup>6</sup> حسن مخائي، المفهوم والمنهج في القراءات العربية المعاصرة للتراث النقدي، ص 121.
- <sup>7</sup> إبراهيم الحايوي، حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1984، ص 19.
- <sup>8</sup> حسن مخائي، المفهوم والمنهج في القراءات العربية المعاصرة للتراث النقدي، ص 121.
- <sup>9</sup> حسين المرصفي، الوسيلة الأدبية، ص 37.
- <sup>10</sup> حسن مخائي، المفهوم والمنهج في القراءات العربية المعاصرة للتراث النقدي، ص 122.
- <sup>11</sup> محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط 1، 1989م، ص 44.
- <sup>12</sup> حسن مخائي، المفهوم والمنهج في القراءات العربية المعاصرة للتراث النقدي، ص 124.
- <sup>13</sup> المرجع نفسه، ص 124.
- <sup>14</sup> جمال سلطان، حسين المرصفي صاحب كتاب "الوسيلة الأدبية" الذي أسس النهضة الأدبية الحديثة صحيفة مصريون، قسم وجهة نظر، 30 نوفمبر 2014.
- <sup>15</sup> طه حسين، في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 3، 1352هـ، 1933م، ص 66.
- <sup>16</sup> سعد البازعي، استقبال الآخر، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2004م، ص 99.
- <sup>17</sup> أحمد بوحسن، الخطاب النقدي عند طه حسين، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1995م، ص 21.
- <sup>18</sup> مصطفى شميعة، القراءة التأويلية للنص الشعري القديم، ص 103.
- \* كارل بروكلمان مستشرق ألماني ت 1956، ألف كتاب «تاريخ الأدب العربي»، قال عنه الباحث عبد الرحمان بدوي: «يعد المرجع الأساسي والوحيد في كل ما يتعلق بالمخطوطات العربية وأماكن وجودها».
- <sup>19</sup> حسن مخائي، المفهوم والمنهج في القراءات العربية المعاصرة للتراث النقدي، ص 133.
- <sup>20</sup> طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 5، 1976، ص 27.
- <sup>21</sup> حسن مخائي، المفهوم والمنهج في القراءات العربية المعاصرة للتراث النقدي، ص 134.
- <sup>22</sup> ينظر، المرجع نفسه، ص 135.
- <sup>23</sup> المرجع نفسه، ص 39.
- <sup>24</sup> ينظر، حسن مخائي، المفهوم والمنهج في القراءات العربية المعاصرة للتراث النقدي، مرجع سابق، ص 140.
- <sup>25</sup> عبد العزيز النعمان، فن الشعر بين التراث والحداثة، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، لبنان، ط 1، 1991م، ص 220.
- <sup>26</sup> ينظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1، 1971م، ص 47.
- <sup>27</sup> حسن مخائي، المفهوم والمنهج في القراءات العربية المعاصرة للتراث النقدي، ص 141.
- <sup>28</sup> إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 127.
- <sup>29</sup> حسن مخائي، المفهوم والمنهج في القراءات العربية المعاصرة للتراث النقدي، ص 142.
- \* أبو الحسن بن طباطبا محمد بن أحمد بن محمد الهاشمي القرشي ت. 322 هـ / 934 م، عالم وشاعر وأديب ولد وتوفي في أصبهان ودفن بها.
- <sup>30</sup> ينظر، حسن مخائي، المفهوم والمنهج في القراءات العربية المعاصرة للتراث النقدي، ص 142، 143، 144.
- <sup>31</sup> حسن مخائي، المفهوم والمنهج في القراءات العربية المعاصرة للتراث النقدي، ص 145.

- <sup>32</sup> ينظر، محمود ميري، أسئلة النقد الأدبي العربي الحديث خلال العقدين السابع والثامن من القرن العشرين (الفضاء الثقافي والبناء المنهجي)، ص 99 .
- <sup>33</sup> أدونيس، كلام البدايات، ص 27.
- <sup>34</sup> صقر أبو فخر، حوار مع أدونيس، ص 84.
- <sup>35</sup> جميل حمدادي، نظريات القراءة في النقد الأدبي، مكتبة المثقف، المغرب، ط1، 2015م، ص 17.
- <sup>36</sup> صقر أبو فخر، حوار مع أدونيس، ص 83.
- <sup>37</sup> ينظر: أدونيس، كلام البدايات، ص 27.
- <sup>38</sup> أسامة اسير، أدونيس الحوارات الكاملة (1960، 1980)، ص 115.
- <sup>39</sup> ينظر، المرجع نفسه، ص 116.
- <sup>40</sup> حسين الواد، في مناهج الدراسات الأدبية، مؤسسة بنشرة للنشر والتوزيع، دار البيضاء، المغرب، ط2، يناير 1985م ص 72.
- <sup>41</sup> محمد مبارك، استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص 28.
- <sup>42</sup> عصام شرتج، الشعرية بين فعل القراءة وآلية التأويل (دراسة في التلقي والتأويل الجمالي) دار الخليج للصحافة والنشر عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2018م، ص 41.
- <sup>43</sup> ينظر: محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي، (بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي)، دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (دط)، 1996م، ص 99.
- <sup>44</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، لسعودية. (دط)، (دت) ص 141.
- <sup>45</sup> Sartre, J, P. (1948) (1987): *Qu'est-ce que la littérature*. Dans situations II. Paris: Gallimard. P92.
- <sup>46</sup> أدونيس، سياسة الشعر، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط2، 1996م، ص 62.
- <sup>47</sup> أدونيس، كلام البدايات، ص 27.
- <sup>48</sup> نبيل محمد صغير، جدل الشعرية وتحولاتها بين البنية والتفكيك عند أدونيس، مجلة الأثير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو الجزائر، ع26، سبتمبر 2016م، ص 79.
- <sup>49</sup> أدونيس، كلام البدايات، ص 29.
- <sup>50</sup> أدونيس، كلام البدايات، مصدر سابق، ص 30.
- <sup>51</sup> المصدر نفسه، ص 31.
- <sup>52</sup> بسام قطوش، استراتيجيات القراءة (التأصيل والإجراء النقدي)، دار الكندي للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط 3، 1998م، ص 13.
- <sup>53</sup> ينظر: أدونيس، سياسية الشعر، ص 55.
- <sup>54</sup> أدونيس، كلام البدايات، ص 37.
- <sup>55</sup> زهير غازي زاهد، قراءة النص، مجلة ينابيع، كلية الآداب، جامعة الكوفة، العراق، ع 19، رجب، شعبان 1428هـ ص 88.
- <sup>56</sup> بول ريكور، نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006م، ص 16.
- <sup>57</sup> جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3 1992م، ص 12.
- <sup>58</sup> حسن مخاني، المفهوم والمنهج (في القراءات العربية المعاصرة للتراث النقدي)، ص 97.
- <sup>59</sup> علي حرب، أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص 84.
- <sup>60</sup> ينظر، حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط6، 1988م، ص 28.